

الفصل الحادى عشر

الوجه الاجتماعى والشخصى

يرئى المستشرق الانجليزى الكبير سير ويليام جونز الحالة المتخلفة للدراسات العثمانية ، فى أوروبا قائلًا : « لقد حدث بصفة عامة ، أن الأشخاص الذين قد أقاموا بين الأتراك ، والذين بحكم مهارتهم فى اللهجات الشرقية هم أفضل المؤهلين لوصف هذه الدولة لنا بصورة دقيقة ، كانوا أحد صنفين : إما أنهم يعيشون فى مستوى منخفض من الحياة ، أو مشغولين بآراء ذات أهمية ، ومدمنين قليلا الخطابات المؤدبة والفلسفات ، وبينما هؤلاء كذلك كان الذين يتقلدون مراكز عالية ويتمتعون بذوق رفيع فى الأدب ، وعندهم الفرصة والميل إلى التغلغل داخل أسرار السياسة التركية كانوا يجهلون تماما اللغة التى تستخدم فى القسطنطينية ، ولذلك . . كان تنقصهم الوسيلة الوحيدة التى يستطيعون بها أن يعرفوا - بأى درجة من درجات التأكيد - عواطف وميول هذا الشعب الغريب . أما بالنسبة لجمهرة المترجمين . فنحن لانتوقع من رجال فى مركزهم أى عمق فى التقليل ودقة فى الملاحظة ، إذ كانت الكلمات هى كل مايتقنون مجرد كلمات هى بالتأكيد كل مايستطيعون أن يدعوا معرفتها »^(١) .

لقد شرح سير ويليام الأساس الجيد لرداءة حالة الدراسات العثمانية فى أوروبا ، وهذا ينطبق بصورة أكبر على الحالة الأسوأ للدراسات الغربية فى تركيا ، إن المجموع الكلى للمسلمين الذين كانوا يزورون فى رحلاتهم أوروبا المسيحية - فى الفترة ما بين ظهور الإسلام والثورة الفرنسية - كان صغيرا بدرجة كبيرة . وحتى من هؤلاء نجد القليل منهم ، بل أغلبهم ، ليست عندهم معرفة طفيفة باللغة الأوروبية وكانوا لايشعرون بأى رغبة أو أى حاجة إلى تعلمها . وكانت اتصالاتهم محدودة بأغراض سياسية أو تجارية ،

التي من أجلها كانوا يسافرون ، وكانت اتصالاتهم كلها تأتي عن طريق المترجمين والمفسرين . وكانت فرصهم ، لذلك ، في الملاحظة والتعليق على المشهد الأوروبي مقيدة بكل شدة . وهذا القصور لم يسبب لهم مشاكل كثيرة . . لأنهم هم وقراءهم ، كانوا لا يرون أى شيء يستحق الاهتمام ، أو له قيمة فى أراضى الكفرة خارج الحدود .

إذا كان الكتاب المسلمون لم يتأثروا بحب استطلاع دراسة الأجناس ، أو حب استطلاع تاريخى ، فهناك ، على أى حال ، دافع آخر كان يسبب أحيانا تعليقات شيقة ، واهتمام بالغريب والمدهش . إن الحضارة التى انتجت روائع مثل ألف ليلة وليلة ، كانت لديها شهوة كبيرة للعجائب والمعجزات ، وقد ظهرت مؤلفات غزيرة تشبعها .

لم تكن أوروبا تفتقر إلى المادة الخام المناسبة ، وقد وجد المسلمون الكثير الذى أدهشهم أنه غريب وغير عادى بأقل درجة . أحد أمثلة هذا هو عادة حلاقة الذقن الأوروبية بالنسبة للمسلمين ، كما هو الحال بالنسبة لكثير من الشعوب الأخرى ، فإن اللحية هى فخار وعظمة الرجولة ، وبعد فترة كانت الرمز الذى يدل على الحكمة والتجربة . وقد وجد هارون بن يحيى العربى الذى كان سجيناً فى روما حوالى ٨٨٦ تفسيرا لهذه الممارسة العجيبة .

« سكان روما ، الشباب والشيوخ يحلقون لحاهم كلية ، لا يتركون ولا شعرة واحدة . وقد سألتهم عن سبب حلق لحاهم ، وقلت لهم : « إن جمال الرجال يكمن فى لحاهم ، ما غرضكم من فعل هذا بأنفسكم ؟ » ، وقد أجابوا : « أى شخص لا يحلق لحيته ليس مسيحيا حقيقيا ، لأنه عندما أتانا سيمون والأنبياء لم يكن لديهم لاصولجان ولامتاع (انظر ماتيوى Matthew العاشر ١٠) ، ولكنهم كانوا فقراء وضعفاء ، بينما كنا نحن ملوكا نرتدى البروكار ونجلس على مقاعد من الذهب ، ولقد دعونا إلى الدين المسيحى ، لكننا لم نلب دعوتهم ، امسكتناهم وعذبناهم وحلقنا رؤوسهم ولحاهم . وعندما ظهرت حقيقة كلماتهم لنا ، بدأنا نحلق لحانا تكفيرا عن خطيئتنا فى حلاقة لحاهم^(٢) .

ويلقى أيضاً كاتب أحدث ، ربما يكون إبراهيم بن يعقوب على الممارسة الفرجية لحلاقة الذقن ، بالإضافة إلى عادات أخرى قدرة .

« لن نرى أكثر قدارة منهم . إنهم شعب غادر ذو شخصية منحطة ، إنهم لا ينظفون ولا يستحمون أكثر من مرة أو مرتين فى العام ، وإذا فعلوا فبالماء البارد ، وهم لا يغسلون ملابسهم ابتداء من الوقت الذى يرتدونها فيه حتى تسقط أسماً بالية . إنهم يحلقون لحاهم وبعد الحلاقة يدعون شعيرات صغيرة مقترزة تنمو . وقد سئل أحدهم عن حلاقة اللحية فقال : « الشعر غير ضرورى . أنتم تزيلونه من الأماكن الخاصة لديكم ، فلماذا تتركونه على وجوهكم » ^(٣) .

وقد استمرت العادات الغربية القذرة تثير اشمئزاز المسلمين . وفى وقت حديث حوالى نهاية القرن الثامن عشر ذكر زائر هندى مسلم ، هو أبو طالب خان ، أنه لا يوجد فى دبلن سوى حمامين ، كل منهم صغير وغير مجهز إلا بالقليل . وبحكم الضرورة ذهب إلى أحدهما ، ولكنه لم يتمتع بالتجربة . وقد لاحظ فى الصيف ، أن سكان دبلن فى البحر وفى الشتاء لا يستحمون على الإطلاق . وقد بنى الحمامان للمرضى ، ولم يكن يستخدمهما ، إلا الذين يشتد عليهم المرض حقيقة . وعندما ذهب أبو طالب إلى الحمام لم يجد أى حجام أو حلاق ، أو أى عامل من أى نوع ، وبدلاً من الملك قدمت له فرشاة من شعر الخيل ، من نفس النوع المستخدم فى تنظيف الأحذية والبيوت ، « كل شخص كان يزيل قدارته بيديه » ^(٤) .

وقد حظيت ملابس الأوروبيين بتعليق من الزوار المسلمين بين حين وآخر . وكان لدى بعضهم ما يقولونه عن السيدات والنساء الأخريات فى فيينا :

« مثل الرجال ، وترتدى النساء ملابس خارجية ، وأردية دون أكمال ومعاطف محشوة مصنوعة من القماش الأسود من جميع الأنوع . وتحت هذه الملابس ، مع ذلك ، فإنهن يرتدين ثياباً مطرزة من الحرير وأقمشة من الذهب ، وغيرها من الخامات الذهبية والثمينة المتنوعة ، وهى ليست قصيرة أو صغيرة كملابس النساء فى أراضى الكفار ، لكنها غنية ووفيرة ، لدرجة أنهن يجرون وراءهن ياردات من القماش على

الأرض مثل الجونلات المجرجة للدراويش ، الذين يدورون . إنهن لا يرتدين إطلاقاً سراويل داخلية ، إنهن يرتدين أحذية من كل الألوان ، وأحزمتهن عادة مرصعة بالأحجار الكريمة ، وبخلاف الأناس الصغيرات فإن السيدات المتزوجات هناك يتجولن هنا وهناك وصدورهن عارية ، تبرق ببيضاء مثل الجليد . إنهن لا يحزمن أرديتهن حول الوسط بأحزمة ، مثل نساء هنغاريا وولاتشيا ومولدافيا ، ولكنهن يضعن غلالات رقيقة حول أسفل جذوعهن عريضة كطرف المنخل ، هذا رداء قبيح ، يجعلهن يبدون كحداوات . وعلى رؤوسهن يرتدين قبعات من الموسلين الأبيض مزينة بالاشربة الرقيقة والتطريز ، وفوقها أغطية للرأس بالمجوهرات واللائي . وبعناية الإله فإن نهود هذه النساء ليست مثل تلك الخاصة بنساء تركيا ، كبيرة كقرباب الماء ؛ ولكنها صغيرة كحبات البرتقال . . ومع ذلك فإن معظمهن يرضعن أطفالهن بلسنهن أنفسهن ^(٥) .

وقد ذكر الشيخ رفاة أحد الملامح المثيرة للدهشة من الملابس الأوروبية الجميلة العجيبة بتغيير طرازها من وقت لآخر .

« ومن طباع الفرنسية التطلع والتولع بسائر الأشياء الجديدة ، وحب التغيير والتبديل في سائر الأمور خصوصاً في الملابس ، فإنه لاقرار له أبداً عندهم ، ولم تقف لهم إلى عادة في التزمي ، وليس معنى هذا أنهم يغيرون ملابسهم بالكلية ، بل معناه أنهم يتنوعون فيه ، فهم مثلاً لا يغيرون لبس البرنيطة ولا يتقلون منها إلى العمامة ، وإنما هم تارة يلبسون البرنيطة ، ثم بعد زمن يتقلون منه إلى شكل آخر سواء في صورتها أو لونها ، وهكذا ^(٦) .

ويعتبر أبو طالب الملابس الأوروبية المعقدة إضاعة للوقت تثير السخرية ، وفي مناقشة طويلة لنقاط الضعف وعيوب الإنجليز ، فإنه يضع في المكان السادس من القوائم « إضاعتهم لوقت كثير في النوم وارتداء الملابس وتصفيف شعورهم وحلق لحاهم وما شابه ذلك . . . » ^(٧) ولكي يتمشون مع الطراز الحديث . . فإنهم يرتدون من القبة حتى الحذاء ، وليس أقل من خمس وعشرين قطعة من الملابس ولديهم مع ذلك ملابس

مختلفة للمصباح وللمساء لدرجة أن عملية ارتداء الملابس بأكملها ، وعملية خلع الملابس تحدث مرتين فى اليوم إنهم يقضون ساعتين فى ارتداء الملابس بأكملها ، وتصفيف الشعر وحلاقة الذهن ، وعلى الأقل ساعة على الافطار ، وثلاث ساعات على العشاء ، وثلاث ساعات فى صحبة النساء أو استماع الموسيقى أو المقامرة ، وتسع ساعات فى النوم ، لدرجة أنه لايتبقى أكثر من ست ساعات لتأدية العمل ، وبين العظماء ليس أكثر من أربعة . ويقول أبو طالب إن الطقس البارد ليس عذرا لمثل هذا العدد الكبير من الملابس ، إنهم كانوا يستطيعون بالاكْتفاء بنصف عدد الملابس ويظلون يحافظون على التدفئة ، وكانوا يستطيعون توفير وقت كثير بالاقبال من حلاقة الذقن ، وتصفيف الشعر وما شابه ذلك .

بعض هؤلاء الزوار المسلمين كان عندهم من الخيال ، مايكفى أن يدركوا أنهم يعطون صورة شاذة للغرب ، كما يفعل الغرب بالنسبة إليهم .

ومثل الزائرين العثمانيين الآخرين إلى أوروبا يعلق واصف عن رضى واقتناع ، على الانطباع الذى سببه ، وأن جمهرة من الناس أتوا يحملقون فيه . لقد بدأ ذلك حتى فى الحجر الصحى ، عندما أتى الناس من الأماكن القريبة يحدقون فيه من الجانب الآخر من السور .

بعد ذلك عندما قام بدخول مدريد فى موكب يشبه الاحتفال ، « كان عدد النظارة فوق الوصف . كان المتفرجون يزحمون الشرفات أعلى المنازل المطلة على الشارع بصفوف متراسة تصل إلى خمسة أو ستة ، على الرغم من أن الشارع كان متسعاً لدرجة أنه يأخذ خمس عربات على صف واحد ، لقد كان مزدحماً لدرجة أنه حتى من كان يمتطى جواداً ، لم يكن يستطع أن يمر إلا بصعوبة . وقد قيل لنا إن النوافذ كانت تؤجر بمائة قرش كل واحدة »^(٨) .

ويعلق أحد الإيرانيين ذوى المقام الرفيع ، والذى حضر افتتاح الخط الحديدى بين

لندن وكرويدون عام ١٨٣٩ على جمهور ، يبلغ ثلاثين أو أربعين ألفا من الناس الذين تجمعوا هناك .

« بمجرد أن شاهدونا بدأوا يصيحون ويهتفون فى دهشة وسخرية ، لكن قام عجودان باشا بقيادتنا فى نحتهم بأدب ، وردوا هم على التحية برفع قبعاتهم ، لذلك سار الحال على مايرام ، لكن حتى ولو كان هناك جزء قليل من الاستهتار لساء الحال . وفى الحقيقة . . كان عندهم بعض الحق ، لأن مظهرنا الخارجى ، فى الملبس وغيره ، كان من المؤكد غريبا على أعينهم - خاصة لحيتى ، التى نادراً ما ترى شبيبتها فى كل بلاد الافرنج »^(٩) .

نستطيع أن نرى بدرجة وضوح كبيرة التغير الذى لحق بالفكرة عن طريق الحكام المسلمين بالنسبة لظروف العالم الإسلامى ، وعلاقاته بالعالم الخارجى لأوروبا المسيحية عن طريق التغير الكبير فى الملابس والأردية الذى بدأ فى أوائل القرن التاسع عشر . وقد بدأ التغير باستخدام أردية أوروبية معينة عن طريق الحاكم وعلية رجال الجيش . وبعد ذلك . . قسم كبير من الموظفين المكتبيين ، وأخيرا جمهرة الشعب .

لقد حدث ذلك مرة فى السابق ، فى القرن الثالث عشر خلع الخليفة الإسلامى ، وخضع جزء كبير من العالم الإسلامى للمغول الوثنيين الذين أتوا من الشرق الأقصى . وبسبب الهزيمة والحيرة ترك المسلمون ، على الأقل فى أوساط عليّة القوات العسكرية ، الطراز التقليدى فى الملابس واستخدموا الطراز الخاص بأسياد العالم . حتى فى مصر ، التى لم يهزمها المغول إطلاقا ، أدخل السلطان المملوكى قلاوون نظاما جديدا فى التعليمات الخاصة بالملابس التى يرتديها الأمراء فى حاشيته الخاصة فى نهاية القرن ، وكان عليهم أن يرتدوا الطراز المغوى فى العتاد ، وبدلا من قص شعورهم على الطراز الإسلامى ، كان عليهم أن يتركوا خصلات شعرهم تنمو ، وتتموج بحرية ، وبالروح نفسها . . ظهر السلطان العثمانى المصلح محمود الثانى أمام شعبه فى ١٨٢٦ مرتديا بنطلونا وسترة طويلة ، واهتم بأن ترتدى أعداد كبيرة من جيشه الملابس نفسها . وقد أعطيت الأوامر بارتداء السترات فى الجيش ، والعباءات فى

المكاتب والسرراويل فى كليهما ومن هؤلاء انتشرت عامة بين الحضر والطبقات المثقفة .
أولاً فى تركيا وبعد ذلك فى بعض الدول العربية ، وأخيراً فى إيران أصبحت الملابس
الأوروبية عامة ، ولفترة طويلة كان التغيير الغربى فى الملابس محصوراً فى الرجال ،
وحتى بين هؤلاء كان فقط من الرقبة إلى أسفل . أما غطاء الرأس ، الذى دائماً له
أهميته الرمزية فى العالم الإسلامى ، والذى كان فوق ذلك مرتبطاً مباشرة بأداء
الصلوات الإسلامية ، فإنه قد ظل واضحاً . فى القرن العشرين . . حتى هذه النقطة
تركها العسكريون ، على الأقل ، ولبسوا الخوذات المحددة ذات الحواف والقبة
العسكرية الأوروبية ، التى استخدمها الضباط على نطاق معظم الدول الإسلامية
العسكرية .

وفى بداية القرن الرابع عشر . . عندما أصبح المغول أنفسهم مسلمين ، واندمجوا
فى مجتمعات الشرق الأوسط . . ترك الطراز المغولى رسمياً ، وقرر سلطان مملوكى آخر
عدم ضمه إلى الزي الإسلامى . وقام هو وكل أمرائه المماليك بالتخلي عن المعاطف
المغولية وقصروا خصلات شعرهم المتموجة ، ظلت القبعات والمعاطف والسرراويل
الأوروبية ، ولكنها كانت موضع تحدى بدرجة متزايدة لأسباب اجتماعية ودينية على
النطاقين الأرستقراطى والشعبى .

وحدث التغيير الغربى فى ملابس النساء فى مرحلة متأخرة كثيراً ، ولم تذهب هكذا
بعيداً ، والتناقض هنا يمكن إرجاعه إلى اختلافات ثقافية أساسية معينة .

كان الزائرون المسلمون الذين تركوا تسجيلات عن رحلاتهم إلى أوروبا حتى القرن
التاسع عشر - دون استثناء - من الرجال . وكان لمعظمهم - على أى حال - مايقولونه
فى موضوع النساء ومكانتهن فى المجتمع بالنسبة لمن كانوا يبحثون عن الغرب والقصص
الرائعة ، كانت هناك موضوعات قليلة مثمرة كثيراً ، فالنظام المسيحى فى الزواج من
امراة واحدة ، والحرية بالنسبة للنساء من القيادة الاجتماعية ، والاحترام الذى يعطى
لهن حتى من الشخصيات الكبيرة ، كانت أموراً تدهش الزائرين من الأراضى
الإسلامية ، مع القليل جداً من الإعجاب .

أحد الانطباعات الاولى للناحية الجنسية الأوروبية قد قدمه السفير العربى الغزال ، الذى زار بلاط الفايكنج فى حوالى ٨٤٥ بعد الميلاد ، وطبقا لشهادته هو . . أثناء اقامته بين الفايكنج تمتع ببعض العبث الخفيف مع ملكة الفايكنج .

« ولما سمعت امرأة ملك المجوس بذكر الغزال وجهت فيه لتراه فلما دخل عليها سلم ، ثم شخص فيها طويلا ينظرها نظر المتعجب ، فقالت لترجمانها : سله عن إدامة نظره لماذا هو ؟ القوط استحسان أم لضد ذلك ؟

فقال : ما هو إلا أنى لم أتوهم أن فى العالم منظراً مثل هذا ، وقد رأيت عند النساء ما انتخبن له من جميع الأمم ، فلم أر فيهن حسناً يشبه هذا . فقالت لترجمانها : سله أجدُّ هو أم هازل ؟ فقال : لا ، بل مجد . فقال له : فليس فى بلدكم جمال ، فقال الغزال : فاعرضوا على من نسائكم حتى أقيسها بها . فوجهت الملكة فى نساء معلومات بالجمال فحضرن ، فصعد فيهن وصب ثم قال : فيهن جمال وليس كجمال الملكة ، لأن الحسن الذى لها ، والصفات المناسبة ليس يميزه كل أحد ، وإنما يعنى به بالشعر ، وأن أحببت الملكة أن أصف حسننها ، وحسبها وعقلها فى شعر يروى فى جميع بلادنا ، فعلت ذلك فسرت سرورا عظيما ، وذهبت ، وأمرت له بصلة ، فامتنع من أخذها الغزال ، وقال لا أفعل . فقالت للترجمان : سله لم لا يقبل صلتى ؟ لأنه حقرها أم حقرنى ؟ فسأله ، فقال الغزال إن صلتها لجذيلة ، وإن الأخذ منها لشرف ؛ لأنها ملكة بنت ملك ، ولكن كفانى من الصلة نظرى إليها وإقبالها على ، فحسبى بذلك صلة ، وإنما أريد أن تصلنى بالوصول إليها أبدا ، فلما فر لها الترجمان كلامه زادت منه سرورا وعجبا ، قال : تحمل صلته إليه ، ومتى أحب أن يأتينى زائرا فلا يحجب ، وله عندى من الكرامة والرحب والسعة . فشكرها الغزال ، دعا لها وانصرف .

عند تلك النقطة . . قطع للراوى تمام بن علقمة قصته بتعليق :

« سمعت الغزال يحدث بهذا الحديث ، فقلت لها من الجمال فى نفسها بعض هذه المنزلة ، التى صورت ؟ فقال : وأبيك لقد كانت حلاوة ، ولكنى اجتلبت بهذا القول محبتها ، ونلت منها فوق ما أرد . »

قد قال تمام بن علقمة أيضا :

« أخبرنى أحد أصحابه ، قال : أولعت زوجة الملك المجوس بالغزال فكانت لاتصبر عنه يوما حتى توجه بها ، يقيم عندها يحدثها عن سير المسلمين وأخبارهم وبلادهم ، وبمن يجاورهم من الأمم . فقلما انصرفا يوما قط من عندها إلا اتبعته هدية ، تلتفه بها من ثياب وطعام أو طيب ، حتى شاع خبرها معه ، وأنكر أصحابه ، وحذر منه الغزال فحذر وأغب زيارتها . فباحثته عن ذلك ، فقال لا ما حذر منه . فضحكت ، وقالت : ليس فى ديننا نحن هذا ولا عندنا غيره ، ولانسأؤنا مع رجالنا إلا باختيارهن ، تقيم المرأة معه ما أحببت ، وتفارقه إذا كرهت . وأما عادة المجوس قبل أن يصل إليهم دين رومة . فالأى يمنع أحد من الرجال ، إلا أن يصحب الشريفة الوضع ، فتغير بذلك ، ويحجره عليها أهلها . فلما سمع ذلك الغزل من قولها أنس إليه وعاد إلي استرساله » (١٠) .

وقد استمر الراوى يصف معاملات الغزال مع ملكة الفايكنج التى كان يرنجل لها الشعر العربى الذى كان يترجم لها بطريقة مناسبة بواسطة المترجم . وقد أضاف هذا الجزء لمسة من عدم الاحتمال للقصة كلها .

وقد أسار استقلال النساء الغربيات تعليقات كثيرة ، وعلى سبيل المثال كان إبراهيم بن يعقوب يتكلم عن شعب شليسويج فيقول إن :

« النساء بينهم تملك حق التطلاق . المرأة تستطيع بنفسها أن تتقدم بطلب الطلاق كلما راقها ذلك » .

ويذكر المؤلف نفسه قصة أكثر غرابة من ذلك عن جزيرة فى البحر الغربى تعرف بـ « مدينة النساء » .

« سكانها من النساء ، ليس للرجال عليهن سلطان . يركبن الخيل ، ويقمن بشن الحرب ولهن شجاعة كبيرة فى القتال . عندهن عبيد من الرجال ، وكل عبد يذهب إلى سيدته بالدور كل ليلة ، ويمكث معها طوال الليل ، ويستيقظ عند الفجر ، ويخرج

سرا عند بدء النهار . فإذا حملت إحداهن طفلا ذكرا تقتله فى الحال ، لكن إذا حملت طفلة انثى تجعلها تعيش » .

وعندما أدرك إبراهيم بن يعقوب أن ذلك النص من القصة القديمة لسكان الأمازون يمكن ألا تنفع قارئه ، أضاف : « إن مدينة النساء حقيقة مؤكدة لايشوبها أدنى شك . . لقد ذكر لى أوتو ملك الرومان عنها » .

وهذه نقطة . . لم يكن المستحيل أن تدهش المراقب المسلم فى العصور الوسطى أكثر من العصور الحديثة ، لما يبدو له الآن من حرية رسمية للنساء ، والنقطة الغريبة لغيرة الرجال . وعند أسامة السورى ، أحد جيران الصليبيين ، قصص تصور هذه النقطة :

« وليس عندهم (أى الفرنجة) شئ من النخوة والغيرة .

يكون الرجل منهم يمشى هو وامراته يلقيه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها ، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث . فإذا طولت عليه خلالها مع المتحدث مضى .

وعما شاهدت من ذلك أنى كنت إذا جئت إلى نابلس . . أنزل فى دار رجل ، يقال له معز داره عمارة المسلمين ، لها طاقات تفتح إلى الطريق . ويقابلها من جانب الطريق الآخر دار لرجل أفرنجى يبيع الخمر للتجار يأخذ فى قنينة من النبيذ وينادى عليه ويقول « فلان التاجر قد فتح بيته من هذا الخمر . ومن أراد منها شيئا فهو فى موضع كذا وكذا . وأجبرته عن ندائه النبيذ الذى فى تلك القنينة . فجاء يوما ، ووجد رجلا مع امرأته فى الفراش فقال له « أى شئ أدخلك إلى عند امرأتى ؟ »

قال : « كنت تعبانا كذا دخلت استريح » قال : « فكيف دخلت إلى فراشى ؟ » قال : « وجدت فراشا مفروشا نمت فيه » .

قال : « والمرأة نائمة معك ؟ » قال : « الفراش لها . ما كنت أقدر أمنعها من

فراشها ؟ » قال : وحق دينى ، إن عدت فعلت كذا تخاصمت أنا وأنت ، فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته .

وقصة أسامة لها كل خصائص الحكاية الوثنية ، ومع ذلك فهى تصور بوضوح كيف كانت عادات الزواج المسيحى تبدو للمراقبين المسلمين المعاصرين .

ولم يكن ظهور هذه السيدات المسيحيات ، وعلى أى حال ، غير مقبول . وكان من حسن حظ ابن جبير المسلم الإسبانى ، الذى زار سوريا وفلسطين تحت حكم الصليبيين أن يحضر زواج مسيحى ، « ومن مشاهد زخارف الدنيا المحدث بها : زفاف عروس شاهدناه بصور فى أحد الأيام عند مينائها . وقد احتفل لذلك جميع النصارى رجالا ونساء ، واصطفوا سباطين عند باب العروس المهداة ، والبوقيات تضرب والمزامير وجميع الآلات اللهوية ، حتى خرجت تنهادر بين رجلين يسكانهما من يمين وشمال ، كأنهما من ذوى أرحامها ، وهى فى أبهى زى وأفخر لباس ، تسحب أذيال الحرير المذهب سحبا على الهيئة المعهودة من لباسهم ، وعلى رأسها عصا ذهب قد حفت بشبكة ذهب منسوجة ، وعلى لبتها مثل متظم . . وأمامها جلة رجالها من النصارى فى أفخر ملابسهم البهية ، أذيالها خلفهم ، وورائهم أكفأوها ونظراؤها من النصرانيات : يتهادين فى أنفُس الملابس ، ويرفلن فى أرفل الحلى ، والآلات اللهوية قد تقدمتهم^(١٣) .

بعد ذلك . . بقرون كان إيليا سيليرى مسرورا بمنظر سيدات فيينا .

« لأن الماء والهواء فى تلك الدولة كانا جيدين فكل النساء فيها جميلات ، لهن طول جيد وجسم جيد ، وملامح تشبه ملامح أبطال القصص الخرافية . ويوجد فتيات فى كل مكان بعدد لا يحصى جميلات ورشيقات وحسناوات كالشمس الذهبية المشرقة اللائى كن يسحرن الرجل بكل حركة وكل إشارة ، وكل كلمة وكل فعل . . . » .

ولم تفشل أى من ملامح المجتمع المسيحى فى إدهاش الزائرين المسلمين ، كاحترام الشعبى الذى يظهر تجاه النساء وإيليا يعلق فيقول :

« لقد رأيت أكثر الأشياء غرابة في هذه الدولة . إذا قابل الإمبراطور امرأة في الشارع وهو يمتطي صهوة جواده فإنه يتوقف ويدع المرأة تمر . وإذا كان الإمبراطور يسير على قدميه ، ويقابل امرأة فإنه يظل واقفاً ، في موقف مؤدب . وعندئذ تحيه المرأة ، ويرفع هو قبعته لها ويظهر احتراماً لها ، ولا يستمر في سيره إلا إذا مرت . هذا مشهد في غاية الغرابة ، وفي أى مكان آخر من أراضي الكفرة ، للنساء الكلمة العليا ، وهن يكرمن ويحترمن تكريماً للام ماري » (١٤) .

ليس من العجيب أن يعتبر أيليا كاذبا في تركيا ، عندما قص مثل هذه القصص غير العادية . حتى في إسبانيا . فإن الغزال ، السفير المراكشي كان مسافراً في ١٧٦٦ ، صعد بحرية النساء ، ومثل كل الزائرين المسلمين دهش مما صدمه كحرية جنسية للنساء الأوروبيات - وحتى الإسبانيات - وقد بدأت دهشته عندما عبر حدود سيته ، وهو ميناء يحتله الأسبان على الساحل الشمالي لمراكش .

« لاماكن إقامتهم نوافذ تطل على الشارع ، حيث تجلس النساء طوال الوقت ، يحين المارة . أزواجهن يعاملونهن بأدب كبير . والنساء يذمن كثيراً المحادثة وتجاذب التحيات مع الرجال غير أزواجهن ، سواء في صحبة أو بعيداً عن الأنظار ، لا يمنعن من الذهاب إلى أى مكان يعتقدن أنه مناسب . ويحدث غالباً أن يعود المسيحي على منزله ويجد زوجته أو ابنته أو اخته في صحبة رجل مسيحي غريب ، يشربان معا ويميلان على بعضهما . إنه يكون مسروراً بهذا ، وطبقاً لما يقال لى . . فإنه يعد هذا إثارة منه للمسيحي الموجود في صحبة زوجته أو أى امرأة أخرى من نساء منزله » .

ويبدو أن اخبار الغزال عما شاهده في سيته وتفسيره لها مبالغ فيها . وليس من المدهش إطلاقاً أنه قد صعد بشدة - مثل الزائرين المسلمين الآخرين قبله - من الراقصين في حفلات الرقص والاستقبال ، التي أقيمت تكريماً له ، وأنه كان يدهش بدرجة من رداء فتيات الأسر الكريمة المخجل ، وإظهارهن أجسادهن ، وإذعان أو حتى موافقة الرجال الذين كان يجب أن يكونوا حراساً على شرفهم بعد عودته من إحدى حفلات الاستقبال هذه يعلق الغزال بقوله :

« عندما انتهى الحفل عدنا إلى مساكننا وصلينا لله أن ينقذنا من الحالة البائسة لهؤلاء الكفرة الذين تنقصهم غير الرجولة وينغمسون فى عدم الإيـام ، ودعونا القوى ألا يعتبرنا مسئولين عن ذنوبنا بالتحدث معهم عندما تتطلب الظروف ذلك .. » (١٤) .

وقد دهش محمد سعيد أفندى أيضا من استقلال وقوة النساء فى فرنسا :

« النساء فى فرنسا مركزهن أعلى من الرجال ، لدرجة أنهن يفعلن مايحلو لهن ويذهبن حيث يردن ، وأعظم اللوردات يظهر احتراماً وأدبا يفوق كل الحدود لأقل النساء شأنًا . فى تلك الدولة أوامرهن سائدة ، يقال إن فرنسا هى جنة النساء حيث لا يحملن أى هموم أو متاعب ؛ حيث يحصلن على أى شىء يرغبن فيه ، دون أى مجهود » (١٥) .

وقد لاحظ أبو طاب خان ، مع ذلك ، الذى كان يزور إنجلترا فى نهاية القرن الثامن عشر ، جانباً من القصة ، الذى غاب عن أنظار الزائرين الآخرين . وعلى العموم .. فإنه يجد أن النساء الانجليز أسوأ حالاً من اخواتهن المسلمات ؛ فإنهن يمكنن مشغولات بمختلف الأعمال فى المتاجر ، وفى أماكن أخرى - وهو موقف يرجعه أبو طالب إلى حكمة المشرعين الإنجليز وفلاسفتهم فى العثور على طريقة تنقذ نساءهم من الرذيلة - هن عرضة أكثر لعدد من القيود ، على سبيل المثال .. فلإنهن لا يخرجن بعد حلول الظلام ، ولا يقضين الليل فى أى منزل غير منزلهن ، مالم يكن مصحوبات بأزواجهن . وبمجرد أن يتزوجن .. فإنهن لا يملكن أى ممتلكات أو حقوق ويكن تماماً تحت رحمة أزواجهن ، الذين قد ينهبون بارادتهن . وعلى العكس من ذلك .. فإن النساء المسلمات أفضل بكثير ، فإن موقفهن القانونى وحقوق ملكيتهن ثابتة ، ويحميها القانون ، حتى ضد أزواجهن ، ولهن مميزات أخرى أيضاً ، بسبب اختفائهن خلف الحجاب ، يلاحظ ببعض الأسى ، إنهن يستطعن الانغماس فى كل أنواع الشرور والرذيلة ، التى مجالها كبير جداً إنهن يستطعن الخروج من المنزل ، حسب اختيارهن ، ويذهبن ليزرن آباءهن واقاربهن أو حتى صديقاتهن النساء ، ويمكنن بعيداً عن المنازل لعدة

أيام وليالى فى المرة الواحدة ، ولدى أبى طالب هواجس عن الفرص ، التى تتيحها مثل هذه الحريات ^(١٧) .

وقد توجه أبو طالب من إنجلترا إلى فرنسا ، ووجد نفسه فى تناقض عجيب بالنسبة للأفكار السائدة المقبلة ، فلم تقبل نفسه طهوراً فيها ولانساء ، مثلما كان فى إنجلترا . كان أبو طالب يفضل الأطباق الانجليزية البسيطة عن الأطباق الفرنسية المزينة ، ولديه الآراء نفسها بالنسبة للسيدات فى كل من الدولتين ؛ فهو يقول : « النساء الفرنسيات أطول وأكثر امتلاء وملفوفات أكثر من الانجليزيات ، لكنهم أقل جمالا ، ربما لأنه ينقصهن بساطة الفتيات وحياؤهن ، والتصرف الرشيق للفتيات الانجليزيات » وقد دهش أبو طالب كثيرا من الطريقة الفرنسية فى تصفيف الشعر ، التى وجدها تذكره بطريقة قبيحة بظهور العاهرات الشعبيات فى الهند . لقد وجد النساء الفرنيات بمساحيقهن ومجوهراتهن وصدورهن شبه العارية ، لعبوات فى مظهرهن .

ومما جعل الأمر أكثر سوءاً أنهن جريئات كثيرات الكلام ، عاليات الصوت ، سريعات الرد كانت أرديتهن المرتفعة عند الخصر مضحكة أكثر منها جذابة . وفى النهاية . . يلاحظ أبو طالب أنه على الرغم من أنه سريع التأثر برؤية الجمال كما كان يلاحظ أثناء زيارته لمناظر مختلفة فى لندن ، لما يحدث له أى نوع من هذا التأثير فى باريس . ففى القصر الملكى ، سواء بالليل أو النهار . . كان يجد نفسه وجها لوجه مع آلاف ، ولكنه لم يتأثر بأقل درجة بأى واحدة منهن ^(١٨) .

والنساء الفلاحات الفرنسيات ، وفى الحقيقة كل ما فى القرية ، كان أسوأ من ذلك ؛ فالقرى لم تكن تجلب السرور ، وتختلف تماما عن المدن ؛ وكانت النساء خششات جداً لدرجة أن رؤيتهن فقط كانت تثير الاشمئزاز ، وكانت ملابسهن من نوع لدرجة أن فتيات القرى فى الهند كأنهن ساكنات للجنة بالمقارنة بهن ^(١٩) .

وأما فاضل بيه ، وهو شاعر تركى فى هذا الوقت ، جنسى كثير الصراحة ، وكان يعرف أيضاً باسم فاضل الانديرونى (١٧٥٧ - ١٨١٠) ، وهو حفيد أحد قادة الفلسطينيين العرب المشهورين ، الذى ثار ضد العثمانيين فى السبعينات من القرن الثامن

عشر ، وقد نشأ فى استامبول ، وأصبح مشهوراً بقصائده الاباحية وخاصة قصيدتين طويلتين ، إحداهما عن الفتيات والأخرى عن الفتيان ، يصفهم بجنسياتهم مع تعدد صفاتهم الحسنة القبيحة ، لأغراض فى نفس فاضل بيه ، من أجل مجموعات الجنسيات المختلفة . وهى تشمل ، بالإضافة إلى المجموعات المختلفة المجاورة بالقرب من الإمبراطورية العثمانية ، الفرنجة فى استامبول ، وسكان الدانوب والفرنسيين والبولنديين والألمان والإسبان والانجليز والروس والهولنديين ، وحتى الأمريكان الذين كان فاضل بيه يقصد بهم - بكل وضوح - الهنود الحمر . ولا يوجد أي دليل على أن فاضل بيه قد سافر إلى الخارج ، لكن لأنه نشأ وعاش فى القصر الإمبراطورى فى استامبول . . كان يمكن أن تكون لديه الفرصة فى مقابلة نساء صغيرات ، وفتيان من جنسيات متعددة ، تميل أوصافه للفتية . . إلى عدم الوضوح نوعاً ما وقلة الكلام . أما معالجته للفتيات . . فكانت أكثر صراحة ، مليئة بمجموعات من التفاصيل التحليلية فى بعض الأحيان ، وكان فى بعض الأحيان يعطى أهمية للنص الثقافى من حين لآخر ، يلون النساء الفرنسيات لاتباعهن العادة المقززة ، بالنسبة لفاضل بيه ، فهو غرامهن بالكلاب الصغيرة ووضعهن فى احضانهن على صدورهن ، وهو أيضاً مدرك أن السيدات الإسبانيات يغنين ويعزفن على الجيتار ، ويلاحظ أنهن يصلن عن طريق مراكش . النساء الانجليزيات عفيفات خدودهن وردية وشريكات فى امتلاك الهند . والنساء الهولنديات يتكلمن لغة صعبة ويمكن للفرد أن يندهش كيف استطاع فاضل بيه أن يتوصل إلى هذا الحكم ، ولكنهن فاشلات فى إثارة الرغبة الجنسية ^(٢٠) .

خالد أفندى الذى مكث فى باريس منذ ١٨٠٣ إلى ١٨٠٦ ، وهو يهتم بصفة عامة برسم الصور السالبة على قدر ما يستطيع . . فإنه يصف وجهاً آخر من الحياة الجنسية الأوروبية ، ويبدأ غاضباً بذكر اتهام وجه للمسلمين من الذين قاموا بسلبهم :

» إنهم يقولون : لتعرف كقاعدة عامة ، أنه مهما كان عدد الأرمن واليونانيين كثيراً فى العالم . . فإن المسلمين عندهم شذوذ جنسى ، وهذا شيء مشين . فى بلاد الفرنجة ، اللهم احفظنا لا يمكن أن يحدث مثل هذا الشيء ، وإذا حدث فإن هذا الفعل

يقابل بعقوبة صارمة ويشير فضيحة كبيرة وهكذا - لدرجة أننا لو استمعنا ، يمكن أن نعتقد أننا كلنا نمارس هذا الفعل ، كما كان لا يشغلنا أى اهتمام آخر .

فى باريس .. يوجد نوع من الاسواق يسمى القصر الملكى ، حيث توجد متاجر لأنواع متعددة من السلع على جميع الجوانب الأربعة ، وفوقها توجد غرف تحتوى على ١٥٠٠ امرأة و ١٥٠٠ صبي لا يفعلون شئ سوى ممارسة اللواط . فالذهاب إلى هذا المكان بالليل يشير الخجل (انظر ص ٣١٩) فقد ذهبت لأشاهد هذا المنظر الخاص . وبمجرد أن يدخل الفرد ، يسلمه من كل جانب من الجوانب الأربعة فنية وفتيات بطاقات مطبوعة عليها : « عند كثير من النساء ، حجرتى فى مكان كذا كذا ، والسعر كذا » أو « عندى كثير من الصبية ، أعمارهم كذا وكذا والسعر الرسمى كذا » كل ذلك على بطاقات مطبوعة خصيصا . وإذا أصيب أى صبي أو امرأة بينهم بمرض الزهري .. فهناك أطباء معينون من قبل الحكومة لرعايتهم . ويحيط النساء والفتيان الرجل من كل جانب ، يستعرضون ويسألون « أينا تحب ؟ والأكثر من ذلك .. فإن كبار الناس يسألون بفخار : « هل زرت قصرنا الملكى ؟ وهل أحببت النساء والصبيان ؟ » .

الحمد لله .. ليس فى أراضى الإسلام هذا العدد من الصبية والشواذ (٢١) .

وهناك زائر بعد ذلك لباريس ، الشيخ رفاعة المصرى يقدم نظرة مختلفة نوعا ما عن قضية الشذوذ الجنسى ، وهو يلاحظ باهتمام وموافقة ، أنه فى فرنسا يعتبر الشذوذ الجنسى شيئا مشيرا للفرع والتفرع ، إلى درجة إن الدارسين الفرنسيين الذين يترجمون قصائد الحب الجنسى الشاذ من اللغة العربية ، يدلون الشكل المذكر بالمؤنث .

لم يكن للسيدات تأثير حسنٌ عليه فى فرنسا ؛ فقد وجد أن الباريسيات ينقصهن الخجل والرجال يفتقدون الرجولة :

« إن الرجال عندهم عبيد النساء ، وتحت أمرهم سواء كن جميلات أم لا ، قال بعضهم : إن النساء .. عند بلاد المشرق كأمثلة البيوت وعند الإفرنج كالصغار المدلعين . ولا يظن الإفرنج بنسائهم ظنا سيئا أصلا مع أن هفواتهن كثيرة معهن » .

ويواصل رفاعة الشرح بأنه حتى إذا ظهر سوء السلوك بالنسبة للزوجة واضحاً للرجل ، ثابتاً ومبرهنًا عليه بواسطة شهود ، وطردها من منزلة ، وانفصلا لفترة من الضرورى مع ذلك بالنسبة له أن يقدم أدلة مقنعة على سوء سلوكها ، حتى يمكنه أن يحصل على الطلاق .

« ومن خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسايتهم كما تقدم ، وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الإسلام من الغيرة ، والزنا عندهم من العيوب والردائل ، خصوصا فى حق غير المتزوج » .

وعلى أى حال . . فإن الشيخ يعترف بأنه تأثر بمظهر وأسلوب وحتى أحاديث النساء الفرنسيات :

« ونساء الفرنسيات بارعات الجمال واللطافة ، حسان المسيرة والملاطفة . يتبرجن دائما بالزينة ويختلطن مع الرجال فى المتنزهات » .

وقد حضر الشيخ ، مثل الزائرين المسلمين الآخرين ، حفلة راقصة ، ودهش طبيعيا بسبب الطرق الشاذة فى حياة العالم الغربى . ومثل سابقه . . وجد الكثير غربيا وعجبا ، ولكنه صدم أقل منهم : وهو يشرح بقوله : « والبال - يقصد البار - دائما مشتمل على الرجال والنساء وفيه واقداث - أى أضواء عظيمة ، وكراس للجلوس ، والغالب أن الجلوس للنساء ، ولايجلس أحد من الرجال إلا إذا دخلت امرأة على أهل المجلس ، وإذا لم يكن كرسي خاليا ، قام لها رجل وأجلسها ، ولاتقوم لها امرأة لتجلسها » .

وقد كتب ملاحظة بكل دهشة يقول :

« فالأنثى دائما فى المجالس معظمة أكثر من الرجال » .

وهناك صفة خاصة أخرى لهذه الحفلات الراقصة الغربية ، « ويتعلق بالرقص فى فرنسا كل الناس ، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة ، لا من الفسق ؛ فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياء » .

ومن حين لآخر . . يقوم الشيخ بعمل مقارنات بين الظواهر الغربية ، وما يتساوى معها من الظواهر المصرية ، وغالباً ما تكون فى صالح الأولى ، فهو يقارن الممثلات الفرنسيات على المسرح الفرنسى بفتيات الرقص فى مصر ، والمسرح بمسرحيات خيال الظل المسلمة ، وعلى الرغم من أنه يذكر فى كلتا الحالتين أن الشكل الغربى أكثر تنوعاً وتعليقاته على الرقص مليئة بالمعلومات .

» بخلاف الرقص فى مصر . . فإنه من خصوصيات النساء ، لأنه لتهييج الشهوات ، وأما فى باريس . . فإنه نط مخصوص لايشم منه رائحة العهر أبداً « .

هذه الملاحظة تلفت النظر كثيراً ؛ لأن الشيخ رفاعة ؛ مثل من سبقوه من المستكشفين المسلمين لصالوات الرقص الغربية ، ودهش من العمل العجيب بتبادل رفقاء الرقص .

وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها ، فإذا فرغ الرقص ، عزمها آخر للرقصة الثانية ، وهكذا وقد يقع أن من الرقص رقصة مخصوصة يرقص الإنسان ويده فى خاصرة من ترقص معه ، وأغلب الأوقات يسكها بيده ، وبالجملة فمس المرأة أياماً كانت فى الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى ، وكلما حسن خطاب الرجل مع النساء ومدحهن عدّ هذا من الأدب . (٢٢) .

وفى تعليق ختامى من أحد الفارسيين مبحراً من أزمير فى ١٨٣٨ ، عن زملائه الركاب .

» سعدت أربع فتيات انجليزيات إلى السطح ، وكانت كاملات جداً وذكيات ، لكنهم كن قبيحات ودميمات . وبسبب عجزهن الظاهر فى العثور على الراغبين فيهن فى بلدن ، اضطررن إلى السفر الخارج ، وكن مسافرات هنا وهناك لبعض الوقت على أمل العثور على أزواج ، لكنهن فشلن فى تحقيق غرضهن ، وهن الآن عائدات إلى وطنهن .

وفى يوم الأحد حوالى الظهر . . رسونا عند جزيرة باير Pire (سيرا Sira) أول

أرض إغريقية نصل إليها ، وقد حجزنا هناك لمدة عشرين يوما فى الحجر الصحى ،
والذى يمكن أن يؤدى وظيفة عينة من جهنم . وكانت العذراوات الأربع (هكذا
ادعين) فى صحبتنا فى مبانى الحجر الصحى ، حيث دفع لهن اجودان باشا مصروفات
إعاشتهن ، وكانت إحداهن سعيدة الحظ ، ووجدت أحد الإغريق الشبان الذى كان إحد
رفقائنا فى السفر على ظهر الباخرة متشوقا إليها ، وكانت تتبادل مع الإشارات السرية
والرموز ، وأصبحا الآن صديقين حميمين وعاشا معا فى مسكن واحد « (٢٣) .

كثير من الزائرين الدبلوماسيين عندهم مايقولونه عن المدن ، التى زاروها فى
مناسبات يقارنون بينها ، وبين مدنهم .

يذكر محمد سعيد افندى :

« باريس ليست كبيرة مثل استامبول ، ولكن المبانى مكونة من ثلاث أو أربع أو
عدد قد يصل إلى سبعة طوابق ، وتعيش أسرة بأكملها فى كل طابق ، ويرى عديد من
الناس فى الشوارع ؛ لأن النساء دائما فى الشوارع من منزل لآخر ، ولايمكنن اطلاقا فى
المنزل . وبسبب هذا الخليط من الرجال والنساء . . فإن داخل المدينة يبدو أكثر ازدحاما
بالسكان مما هو فى الحقيقة ، وتجلس النساء فى المتاجر يمارسن العمل » .

الزائرون والمسلمون من شمال أفريقيا والهند ، بالإضافة إلى من جاءوا من الشرق
الأوسط يعلقون على الدور الذى تلعبه النساء كأصحاب متاجر فى المدن الغربية ، وعلى
وجودهن العالمى .

وكل الرحالة المسلمين بطريقة شاملة ، حتى فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية
القرن التاسع عشر ، لاظهرون أي اهتمام بالشئون الداخلية لأوروبا ، حتى عزمى ،
الذى زار إيران فى ١٧٩٠ لم يكن لديه كثير من حب الاستطلاع عن الشئون الخارجة
عن مهمته ، ويعلق مضيق على أحد الأفعال غير العادية لأوروبا : « لكى نحاول
ونعرض على الزوار من الدول الأخرى المناظر التى تستحق الرؤيا لمدنهم . . فإنهم بتلك
الطريقة يشتتون أفكارهم ، ويؤخرونهم ، ويجعلونهم يضيعون أموالهم فى مد اقامتهم

العديمة الجدوى . ومن الزائرين المسلمين الذين سافروا إلى الغرب حتى أوائل القرن التاسع عشر أحدهم فقط ، ميرزا أبو طالب خان ، تغفل داخل هذه الأمور بالتفصيل ^(٢٥) . لقد أتى من دولة تعرضت للتأثير المباشر من الغرب بطريقة لها مغزاها . وخلال القرن التاسع عشر وجد الزائرون المسلمون من دول الشرق الأوسط أيضاً سبباً لإطالة مكوثهم ، وزيادة مجال اهتماماتهم .